Annales islamologiques

51 | 2017
Varia

المغاربة وتجارة الهند من البحر الأحمر إلى المحيط الهندي والصين

(نهاية القرن 5هـ/11م إلى نهاية القرن 9هـ/15م)

لطفي بن ميلاد

p. 223-238

Résumés

English العربية

Our approach is based on tracking the Islamic Western merchants (North Africa and Muslim Spain) presence in the Eastern trade from Alexandria to China during the late Middle Age. Trade activity goes back to ancient times and flourished in the Red Sea during the second half of the 5th/11th century thanks to some objective factors, such as troubles along territorial roads (Banū Hilāl), maritime routes (Normans and Crusaders) and the spread of antisemitism spreading in the Mediterranean Western basin. For that reason, the “Geniza” letters are considered as a prominent historical source until the beginning of the 7th/13th century. However, the documents show some limitations, since they mention Jewish merchants only. Yet the prosperity of the “Karimi” trade revealed the existence of a community of Maghribi origin whose members had a decisive role in the 15th century trade. They were conscious of a crisis in the spice trade, which was of no use for the classical world till the advent of the Portuguese in the early 16th century. The latters’ presence allowed many of them to remain in the Indian Ocean islands and even in China. They are mentioned in travelogues, especially the most famous one, Ibn Baṭṭūṭa.

تعتمد مقاربتنا في هذا المقال على تتبع ظاهرة حضور تجار الغرب الإسلامي (شمال إفريقيا والأندلس) في تجارة الشرق من الإسكندرية إلى الصين طوال القرون الأخيرة من العصر الوسيط. وهي تجارة قديمة قدم الحضور البشري بأطراف العالم المتوسطي لكنها تكثفت بالبحر الأحمر مع النصف الثاني من القرن 5هـ/11م لعوامل موضوعية منها اضطراب الطرق البرية، الهلاليون، البحرية، النورمان والصليبيون، ومعاداة الوجود اليهودي بالحوض الغربي للمتوسط. لذلك تعتبر رسائل الجنيزا جد هامة حتى مطلع القرن 7هـ/13م لكنها لا تتحدث إلا عن تجار يهود. إلا أن ازدهار تجارة الكارم أظهر وجود جالية تجارية ذات أصول مغربية بل ومنطلقة من المغرب أثبتت انخراطها الفعلي في تجارة القرن 9هـ/15م ووعيها بأزمة التوابل التي كانت لغير فائدة العالم الكلاسيكي وحتى قدوم البرتغال مطلع القرن 10هـ/16م. إن حضور هؤلاء سمح لكثيرين بالمواصلة في جزر المحيط الهندي وحتى الصين، تذكرهم كتب الرحالة وأشهرهم ابن بطوطة.

Entrées d’index

Keywords : Ibn Baṭṭūṭa, Geniza, China, Karimi, India, jews

الكلمات المفتاحية : ابن بطوطة, الجنيزا, الصين, الكارم, الهند, اليهود

Texte intégral

النص المعدّل لمحاضرة شارك بها صاحبها في الندوة الدولية حول «طريق الحرير بين الصين و المغرب» بكلية الآداب – عين الشق – الحسن II – الدار البيضاء من 21 إلى 24 نوفمبر 2015م . ويدين هذا البحث بالمراجعة والملاحظات الدقيقة و القيمة التي أبداها الدكتور Éric Vallet المحاضر في تاريخ اليمن والجزيرة العربية والمحيط الهندي بجامعة السوربون، والمادة العلمية التي وفرها زميله في نفس التخصص الدقيق الصديق د. محمد عبد الحميد سعيد المحاضر بكلية الآداب بسوسة والنصائح التي أبداها الاستاذ احميدة التوكابري المتخصص في العالم اليهودي الوسيط بكلية الآداب بصفاقص، فلكل هؤلاء الشكر الجزيل وأحر عبارات التقدير.

1 أن نتحدث عن وجود أهل المغرب والأندلس في أواسط آسيا إلى تخوم الصين، حتى نهاية العصر الوسيط فذلك ليس بالأمر الجديد، فالمصادر كررت مرارًا حضور تجار من المغرب في تلك المناطق، فإن كانت عصور الازدهار الخلافية ملائمة للتبادل وانتقال التجار إلى أوروبا وآسيا، فإنّ اضطراب الطرق التجارية مع نهاية القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي سبّب اضطرابًا لتجارة المغاربة أيضًا وخاصة تلك المتعلقة بجلب البضائع الشرقية أو تصدير الموادّ المغربية إلى أقاصي الشرق، علمًا أنّ هذا الاضطراب بلغ أوجه بوصول الصليبيين إلى بيت المقدس سنة 491هـ/1098م. حيث تحولت الطرق من الإسكندرية إلى جدّة وعدن والهند، ولم تنته هذه الاضطرابات بل تواصلت مع قدوم المغول الذين اكتسحوا فارس وشرق أوروبا طوال القرنين 7هـ/13م و8هـ/14م انتهاءً بالحراك التيموري ثم العثماني. هكذا إذن يمكن القول أنّ الحقبة التي نحن بصددها والتي تهم الصلات التجارية بين المغرب والشرق الأقصى هي تجارة بحرية بامتياز تمرّ بالضرورة عبر مواني الإسكندرية وجدّة إلى عدن ثم كاليكوت وأهم مواني الصين، وذلك يطرح العديد من القضايا. من هم المغاربة الذين مارسوا هذه التجارة؟ ما نوع التجارة التي مارسوها بين الشرق الأقصى وبلاد المغرب الإسلامي؟ هل بقيت ذاتها طوال القرون الأربعة الأخيرة من العصر الوسيط؟ ما هي المحطات التي سجلوا حضورهم بها؟ ما هي الأدوار التي لعبوها هناك؟ لذلك نتجه إلى دراسة الأحوال التي حفت بانتقال تجارة اليهود المغاربة ومظاهر ذلك من دخول الهلاليين القيروان إلى نهاية القرن 7هـ/13م، ثم ما توفر لدينا عن معطيات تهم تجارة المغاربة بمواني الشرق الأقصى؛ وأخيرًا حقيقة انخراط التجار المغاربة في التحولات التجارية العالمية خلال القرن 9هـ/15م وما نتج من تسارع الدفع العثماني في شرق المتوسط إلى المحيطات حتى اكتشاف طريق آخر يوصل إلى الهند سنة 906هـ/1498م من قبل الغربيين.

اليهود المغاربة في المغرب والمشرق

2 إنّنا إذ نطرح في الحقيقة موضوع انتقال تجارة اليهود المغاربة إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي، فمن المؤكد أنّ هؤلاء كانوا الوسطاء الأساسيين في جلب البضائع الشرقية الثمينة إلى أرض «المغارب» وربما كان هذا بدعم كبير من النظام الخلافي الذي ازدهرت في عهده أرض الإسلام خلال القرن 4هـ/10م، فيما عرف بتجارة الرهادنة[1] لكننا سنشهد بين 443هـ/1050م و547هـ/1150م قرنًا بأكمله أقل ما يمكن أن يقال عنه إنّه شكّل مناخًا معاديًا لليهود في الحوض الغربي للمتوسط ممّا أجبرهم على نقل رؤوس أموالهم إلى الفسطاط ومن هناك إلى عدن والهند. وإن كنا محظوظين بتوفر تلك الرسائل الخاصة من التجار ووكلائهم في الفسطاط والمغرب الإسلامي والأندلس فإنّنا لا نعرف بالضبط كيف تواصلت هذه الأنشطة وإلى أي وقت، وما هي الطرق الجديدة، وما هي حقيقة علاقتهم بسلط الأماكن الجديدة التي يبدو أنّهم يعرفونها جيّدًا وأنّ حلولهم بها هو تواصل لأنشطة كانت موجودة من قبل، وكان مركزها المتوسط.

3 والآن[2] وبعد حلول الهلاليين بالقيروان (403هـ/1050م) والصليبيين بالمشرق (506هـ/1100م) والموحدين بالمغرب (548هـ/1150م) وما تبعه من إجراءات إقصائية وقمعية قاسية، إنّنا في هذا الصدد، نتجه إلى تحديد إطار هيوستوريوغرافي لهذا الانتقال وما يتلوه من إشكاليات تاريخية. فنحن هنا أسرى ما توفره لنا رسائل الجنيزا، تلك الخاصة بالقاهرة[3] ثم تلك الخاصة بالهند[4]، فهل تستوفي هذه المصادر كل ما يمكن أن نعرفه عن تشكل تجارة المحيط الهندي؟ وهل أن الرّسائل التي بأيدينا هي كل رسائل الجنيزا التي تهم الموضوع؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل تستوفي كل معرفتنا بتجارة يهود الغرب الإسلامي في المحيط الهندي وتواصلها وشبكاتها وعلاقة هؤلاء بالعناصر الجديدة؟ ونحن نتساءل ما إذا كنا في مأزق هيستوريوغرافي فنحن هنا بقينا أسرى وثائق الجنيزا بين 1050م إلى 1150م تقريبًا. يعني بين حدثين هما قدوم الهلاليين (اضطراب الطريق البرية) وقدوم الموحدين (منع الحضور اليهودي – افتراضًا – على أرض المغارب) دون أن ننسى ما بينهما وهو الحضور المسيحي بالأندلس وبلاد الشام وصقلية. وبالتالي نحن إزاء تغير الأدوار في حوض البحر المتوسط لفائدة العنصر الإيطالي (تجاريًا) الذي بدأ يستفيد من إمكانياته في نقل البضائع من حلب إلى قادس، إذن تعطينا هذه الوثائق (الجنيزا) فكرة عن اضطراب تجارة اليهود المغاربة مما أدى بهم إلى الاستقرار في الفسطاط (كانوا محظوظين من قبل الفاطميين) ثم عدن (اضطراب الأوضاع بعد قدوم الصليبيين). وبالتالي نحن إزاء انتقال أعداد هامة من تجار إضافة إلى جالية وجدت من قبل في العصر الفاطمي الأول وكان لها نشاط واضح[5] : اليهود المغاربة أو يهود المغرب الإسلامي بما في ذلك يهود الأندلس.

4 فالوثائق التي بيننا (الجنيزا) والتي تناولها بالتعليق والنشر المستشرقون اليهود وأهمهم غويتين وايدوفيتش، تفيد باستحالة مواصلة هؤلاء البقاء في المتوسط بعد الأحداث المتتالية هناك. لكن من الأكيد أنهم واصلوا على الأقل نقل رؤوس أموالهم إلى عدن وتعيين وكلاء في الفسطاط لمتابعة نقل هذه التجارة إلى المحيط الهندي[6]، دون أن يقطعوا صلاتهم هناك حيث كان ثمة انتقال تدريجي تكثف خصوصًا خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م مع تلك الإجراءات التي أعلن عنها الموحدون والتي مما لا شك لم تكن وحدها بل كانت جزءًا من إطار عام كان معاديًا للوجود اليهودي في المتوسط. ومع موقعة حصن العقاب في الأندلس 609هـ/1210م[7] كان علينا أن نلحظ تدريجيًا اختفاء وثائق الجنيزا التي مازالت تتحدث عن مراسلات بين تجار يهود في اليمن والهند ونظرائهم أو أقاربهم مع مطلع القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي وهو ما يدل على انتهاء حقبة تجارة اليهود المغاربة والأندلس دون أن ينهي وجود اليهود نهائيًا[8].

5 فإذا عدنا إلى هذه الرسائل (سواء الجنيزا أو تجارة الهند) فإنّنا نستفيد من ذلك، انتقالاً تدريجيًا للتجار وحركة التجارة في اتجاه الهند بحكم فقدان العديد من المراكز (القيروان، المهدية، طرابلس، صقلية) خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م بينما نجد مجموعة من كبار التجار أسست لما يسمى بـ «تجارة الهند» عبر عدن والإسكندرية وصولًا إلى الهند، وكانت كل الرسائل

تعطينا تفاصيل عن هؤلاء فنجد ذكرًا مثلًا ليوسف بن داود اللبدي (من لبدة-طرابلس) نحو سنة 493هـ/1097-1098م[9]، وكذلك عروس بن يوسف المهدوي وربما يعرف في بعض الأحيان بأبي الأفراح الأندلسي (الأرجواني) الذي أنشأ مصفى له بالفسطاط حيث استقر نهائيًا نحو 496هـ/1100م، وتفيد الرسالة التي وجهها إلى أحد وكلائه في الأندلس حقيقة اضطراب التجارة البحرية في المتوسط وتمهد للاستقرار نهائيًا في اتجاه الهند[10]. هكذا ننتبه إلى تركز الأنشطة بين الهند والأندلس خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م من ذلك خلفون بن نيثانيال الدمياطي الذي كانت له أنشطة بين عدن ومصر والمغرب والأندلس (529-541هـ/1125-1146م). وقد وصلت رحلاته إلى الهند في (527-529هـ/1132-1134م)، ثم عاد إلى المغرب نحو سنة 534هـ/1138-1139م[11] وكانت معظم رسائله من الأندلس. كما استقر أبا زكري كوهين السجلماسي كوكيل تجاري في الفسطاط بمصر ليرعى تجارة كانت تدار بين الهند والمغرب بين 527-543هـ/1132-1148م[12] وفي نفس تلك الفترة استقر إبراهيم بن بيجو بعدن نحو سنة 527هـ/1132م ونفهم من خلال رسالة وجهها من هناك بتاريخ سبتمبر 544هـ/1149م أنه جمع ثروة طائلة من مزاولة التجارة بين الهند وعدن ومصر، ونفهم أيضًا من خلال هذه الرسالة شدة الوعي التي كانت تحل بإفريقية بعد هجوم النورمان على المهدية سنة 544هـ/1149م ثم الموحدين[13] ومن ثمة سنجد تلاحق الانتقال إلى البحر الأحمر حيث نجد أن أخا دافيد بن ميمون الأندلسي توفي غرقًا في أحد المراكب سنة 563هـ/1168م[14]، في حين أنه نكاد نجزم باختفاء أي حديث عن هؤلاء أو عن أي دور لهم في الغرب الإسلامي والهند، ففي تلك الفترة بدأت إجراءات حقيقية لمنعهم من الحضور في تلك المنطقة انتهت بعملية «التمييز». إنّ مثل هذه الاجراءات ستخفي من الحركة التجارية عنصرًا مهمًا في التجارة مع الهند، ليقتصر هؤلاء على الحضور في المحيط الهندي بين عدن وكلكوتا[15]، وهو ما سيدفع الموحّدين إلى التعاون مع عنصر جديد هو المدن الإيطالية (بيشة، جنوة) بالضرورة. لكن دون أن نغفل عنصرًا آخر هو التجار المسلمون من الغرب الإسلامي الذين استفادوا من رحلتهم إلى الشرق للإتجار في تجارة الهند، واستقرارهم هناك سواء كان مؤقتًا أو نهائيًا، فأي أدوار ستكون لهؤلاء؟

المسلمون المغاربة في المشرق وتجارة الهند إلى نهاية العصر الوسيط

6 إن حقيقة تحوّل تجارة الشرق الأقصى إلى المحيط الهندي عبر البحر الأحمر تعد من القضايا المطروحة، فمن المؤكد أنّ طريق الحرير الطويل لم ينقطع أبدًا، لكنه أصبح في حوزة وسطاء آخرين سيعوضون اليهود وهم التجار الإيطاليون الذين احتكروا المجال البيزنطي من البحر الأسود إلى المتوسط عبر البوسفور، فضلًا عن أنّه من غير المفيد هنا الإصرار على ربط تجارة المحيط الهندي بنقل رؤوس أموال اليهود المغاربة إلى هناك، فمن المؤكد أنّها تجارة وجدت من قبل، وربما وجدت دعمًا زمن الفاطميين حيث انتشرت حركة الدّعاة منذ أوائل القرن 5هـ / 11م، مثلما نعتقد أنّ المغاربة من غير اليهود كانوا قد ساهموا بالفعل في نشاط من هذا النوع أو اشتركوا مع غيرهم من جنسيات أخرى أهمها المصرية حيث تمر البضائع من عيذاب إلى الإسكندرية في المتوسط ولعل أهم هؤلاء القاضي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن اللخمي البيساني العسقلاني ثم المصري (529هـ-595 / 1134-1197م) الذي كان «ضياعه خمسون ألف دينار، سوى التجارات من الهند والمغرب»[16]، بينما كانت جالية مغربية قد استقرت نهائيًا للعلم والمجاورة والتجارة بالحجاز وحتى اليمن منذ مدّة، استفادت من وجودها هناك لممارسة التجارة في البحر الأحمر، من ذلك قدم أبو العباس أحمد ابن محمد الأبي وقد كان أديبًا وشاعرًا سافر إلى اليمن تاجرًا، ثم غادرها إلى مصر فاستقر بالإسكندرية و لسنا متأكدين من أنه بقي هناك أم عاد سنة 597هـ/1201م. سافر ابن المجاور سنة 618هـ/1222م في سفينة الخواجا نجيب الدين ابن أبي القاسم البجائي[17]، وكذلك أمين الدين بن العالمة من أصل مغربي (ت 669هـ/1270م)[18] وكذلك محمد القسطلاني (عاش بين 691هـ-751هـ/1291م-1353م)[19] كانت «تجارته بين مكة ومصر» بينما استقر عبد الله بن يوسف التلمساني[20] بعدن حيث امتلك العديد من المراكب، ومن المؤكد أنّ وجود تلك النخبة العالمة في مناصب القضاء والإفتاء والعلم بالحجاز جعلها تستفيد من علاقتها بكبار الأمراء والتجار، بل تمتهن تجارة الكارم خاصة خلال القرن 9هـ/15م ومما لا شك فيه أنها لم تكن بعيدة عن تلك الأحوال والتبدلات التي رافقت علاقة السلطة بالتجارة بين مكة وجدّة وعاصمة المماليك.

7 ومن أشهر هؤلاء يمكن أن نذكر محمد بن قاسم الفقيه الجذامي الأندلسي (ت 892هـ/1486م) حيث كان يمتهن التجارة مع أهل الإسكندرية[21]، ومارس قبله عبد القوي بن محمد المالكي البجائي (ت 816هـ/1413م)[22]، النازل في مكة التي قضى بها مدة 46 سنة، النشاط التجاري، دون أن ننسى محمّد بن أبي بكر الحنفي المغربي الذي أنهى حياته بالقاهرة[23]. وفي تلك الخلافات بين سلطاني القاهرة وجدّة، أرسل أمير مكة أحمد القسطلاني وسيطًا لدى السلطان المملوكي (ت 714هـ/1315م)[24]. ولا يمكن أن نغفل عن تلك التحولات التي رافقت القرن 9هـ/15م في اتجاه تنافس القوى اللاتينية على التوجه إلى شرق المتوسط ومن ثمة ازدياد الطلب على البضائع الشرقية من بهارات وتوابل وحرير، الخ. غير أنّ هذا الأمر اصطدم بعوائق حقيقية منها احتكار السلطان المملوكي لتجارة الفلفل سنة 825هـ/1422م وصولًا إلى امتلاكه الحق دون غيره سنة 835هـ/1431-1432م في امتلاك بيع البهار[25]. إن هذه التطورات ولا شك أدت إلى توتر العلاقات بين التجار الغربيين والسلطة المملوكية، ثم زادتها حدّة تلك الأخبار الواصلة إلى الغرب عن تسارع حصار العثمانيين للقسطنطينية انتهاءً بسقوطها سنة 856هـ/1453م وما تلى ذلك من ضرب للمراكز التجارية الإيطالية هناك وبالتالي غلق منافذ الشرق عبر البوسفور وهو ما سبب ضغوط حقيقية على التجارة الغربية. ومما لا شك فيه أن توجه الغربيين إلى المحيط الأطلسي كان سببه الأصلي البحث عن طريق توصل إلى الهند فلم يكن من باب الصدفة أو المفاجأة الانفتاح على عالم الكشوفات الكبرى. بل إنّ أزمة التجارة الغربية في علاقتها بأقاصي الشرق هي التي فتحت أبواب المحيطات على مصراعيها أمام أوروبا[26].

8 إنّنا في خضم هذه الأجواء المتسارعة الضخمة وأمام قلة المعطيات التي لدينا نحاول أن نتبع أدوار المغاربة وحقيقتها وبالصعوبة ذاتها التي تجعلنا نتبع متون التراجم سندًا مثلًا أن أحمد بن قاسم الفزاري الطرابلسي، المتخصص في تصدير المرجان إلى الإسكندرية، قد ارتحل للمرة الثانية سنة 866هـ/1472م إلى الهند (وهو ما يفيد ارتحاله مرة أولى) بل يبدو أنّ ثروته قد كبرت فانتقل إلى اليمن (استقر) ليتابع تجارة صاحب الهند والتجارة لنفسه[27]. إذن هنا نفهم حاجة صاحب الهند (ملك

الهند) إلى هؤلاء للائتمان على ثروته التجارية. فمن المؤكد أنّه في تلك الفترة زادت الضرائب على تجار الهند من قبل حاكم جدّة، مما جعلهم يتراجعون عن الذهاب إلى هناك ومن الطبيعي هنا أن نفهم أنّ الهنود لم يتخلوا عن التجارة مع ميناء جدّة (حيث واصلوا تصدير بضائعهم) ومن هناك تتواصل حركة الصادرات – الهندية - إلى عيذاب ثم الإسكندرية، (إنّ تجارة الهند تواصلت بكل الوسائل التي أتيحت لها) لحاجة الأوروبيين إليها وهم الذين كانوا مستعدين للدفع بأي مقابل في الوقت الذي عملوا فيه بجدّ على التخلص من الوساطة المملوكية بالتعويل على وسطاء مغاربة، بينما كانت المشاريع الكبرى تتهيأ في إيجاد طرق بديلة غير المتوسط (العثمانيون) والبحر الأحمر (المماليك) ونوابهم.

9 هكذا نفهم أنّ انخراط المغاربة في عمق التجارة الدولية له معانيه خلال قرن من الزمن (1401-1498) ولم يكن وليد هذا القرن لكنه كان بنفس القوة التي كانت عليها هذه التحولات. فمن المؤكد أنّه تكونت نخبة تجارية من الغرب الإسلامي كانت تستفيد من الصراعات الدائرة من جنوب الأندلس إلى جنوب اليمن وهؤلاء اكتسبوا علاقات مع ملوك أوروبا إلى الهند الذين كانوا يقاسمونهم الأرباح. وكان عبد الباسط أحد مصادرنا المهمة في التأريخ لهذه النخبة ومنها أحد مواطني هذا التاجر وهو العوادي (من جهة طرابلس) الذي قد لا يكون امتلك حظوة لدى صاحب الهند، أو على الأقل لم يصلنا أنّه كذلك[28]، لكننا نجد مغربيًا آخر وهو أيضًا من ناحية طرابلس الغرب واسمه مساعد بن حامد المصراتي المغربي[29] كانت وفاته بالهند. فهذا التاجر انتقل إلى مصر والحجاز لكنه توفي بالهند مما يدل على أنّ الوساطة في تجارة الهند كانت بالبحر الأحمر لكنّها أيضًا كانت تفرض على أصحابها الإقامة في عالم المحيط الهندي لضمان وصول السفن والبضائع ودوريتها وانتظامها ومما لا شك فيه أنّ هؤلاء كانوا قد تمكّنوا من امتلاك مهارات عديدة كفنون الملاحة البحرية وتقنيات الإبحار والمعرفة بلغات الأمم التي كانت تعتمد عليهم في تسهيل وصول بضائع الهند إليها فلم يكونوا في حاجة إلى غزوها، كما أن هؤلاء كانوا يعتمدون أيضًا على حكام الغرب المسيحي وخاصة حكام شبه الجزيرة الايبيرية الذين ازدهرت قوتهم البحرية والتجارية خلال القرن 9هـ/15م[30]من ذلك تسلل تاجرَين برتغاليين في مهمة سرّية، من المؤكد أنّها كانت على علاقة بالبحث عن بدائل أخرى للسلطة المملوكية في تحكمها في التجارة بين عدن والإسكندرية. إذ نشهد مثلًا تسلل بيدرو دي كوفيلام وزميله ألفونس دي بايفا بين 893-895 / 1490-1488م حيث انضمّا إلى قافلة مغربية (من المؤكد أنها تعلم سلفًا حقيقة مهمّة الرجلين ولعل ذلك كان بتسهيل السلطة الحاكمة وبمقابل كبير دفع لأصحاب القافلة وربّما كان هذا المقابل جانبًا عينيًا أو نصيبًا مما كان يؤتى به للهند)، ثم رحلا بالبرّ إلى الطّور ثم بالبحر إلى عدن وصولًا إلى الهند حيث أرسلا معلومات مهمّة. إنّ العبارة الأخيرة تؤكد حقيقة المحاولات الجدّية التي كانت تحرّك الإيبيريين الذين سيطروا على جنوة[31] بعد انسحابها من شرق المتوسط نتيجة السيطرة العثمانية بقوة المدافع بينما بقيت البندقية تصارع من أجل حماية المثلث الحفصي-المملوكي-البندقي حتى انقطاع آخر خطوطها التجارية عام 912هـ/1509م. وفي تلك الظروف يمكن استعمال الطرق الصحراوية أيضًا لبلوغ المآرب المختلفة إلى البحر الأحمر[32]، وفي كل تلك المحاولات كان التجار المغاربة حاضرين بقوة فقد كانت لفاسكو دي غاما البحار البرتغالي الذي يعزي لفريقه الوصول إلى الهند عن طريق السواحل الافريقية سنة 904هـ/1498م اتصالات مع تونسيَين « *deux Maures* » يتقنان جيدًا القشتالية والجنوية. ومن الواضح أن هذين المغربيَين أيضًا لم يكونا بعيدين عن اكتشاف طريق الهند على وجه الصدفة ليؤدي إلى كشف القارة الجديدة (المدعوة لاحقًا: أمريكا) فالأدلاء المغاربة من المؤكد أنهم لعبوا الدّور الوسيط في البحث عن تلك الطريق وتوجيه السفن حسب الاتجاهات والرياح والمواسم وغيرها ولم لا الاستفادة من عالم التقنيات المتحول بكثافة في عالم الغرب خاصة منها الخرائطية التي وجدت عند العديد منهم منذ أواخر القرن 9هـ/15م. من ذلك ما حدث به الحميري في معجمه عن قادس: «ويزعم أهل جزيرة قادس أنهم لا يزالون يسمعون أن الراكب في هذا البحر/البحر المحيط/ إذا ألح فيه وغاب عنه صنم قادس، بدا له صنم ثالث فإذا تجاوز سبعة أصنام صاروا في بلاد الهند»[33].

10 فالرحال البرتغالي فاسكو دي غاما يذكر في مذكراته عن لجوء تاجر «تونسي» (مسلم بربري من تونس) إلى أحد مراكبه كان مهدّدا بالقتل للشك في أنه مسيحي يتجسس لفائدة البرتغال[34] في وقت كان فيه ملك كليكوت في أوج الصراع مع البرتغاليين لرفضه مدّهم بالتوابل كما أجّر مرشدًا (يبدو أنه أيضًا من تونس) أرسله إلى مواطنَيه الذين رحبا به بعد ما دهشا لعدم إرسال سائر الممالك الغربية وسطاء إلى الهند لجلب التوابل وهو ما يدل على أنّ طريق التوابل قبل البرتغال كان مقتصرًا على الوسطاء الإفريقيين الذين أدركوا حقيقة القوة البرتغالية التي حملت المكتشف البرتغالي على العودة بعد سنوات بحملة عسكرية سنة 906هـ/1500م لحمل التوابل إلى لشبونة وجنوة. إنّ هؤلاء كانوا في قلب الوعي بالأحداث المتحوّلة على تخوم المحيطات من البحر المتوسط والبحر الأحمر إلى المحيط الهندي والمحيط الأطلسي.

11 فالجدل القائم منذ مدّة عن حقيقة إسهام المغاربة في حركة الكشوف الكبرى[35] لم يكن من فراغ بل إنّ المغرب كان حلقة الوصل بين إيبيريا والمدن الإيطالية المنتكسة نتيجة الحضور العثماني في الشرق وما احتلال البرتغال لميناء سبتة سنة 823هـ/1418م إلا جزء من هذه التحولات. اذ أنّ القرن 9هـ/15م الذي انتهى بهيمنة العثمانيين على المواني الشرقية للمتوسط ثم بداية مطلع القرن 10هـ/16م وحتى الاستبسال الأخير للإسبان في الدفاع عن وجودهم في تونس طوال نصف قرن تقريبًا (1535-1569م) لم يكن مجديًا، ليتلوه صراع مباشر بين البرتغال والعثمانيين في عدن. وفي نفس الوقت كان هؤلاء يخوضون صراعًا مريرًا للسيطرة على المواني الأطلسية للمغرب الأقصى للحفاظ على نقاط مراقبة لوصلهم دائمًا إلى الهند[36]، ولعل ذلك كان امتدادًا لمحاولات عديدة منذ أواخر القرن 8هـ/ 14م من ميناء قادس. على أن التجار المغاربة لم يكتفوا بالهند بل وصل بعضهم إلى الصين.

الصين والمغاربة من أرض للعجائب إلى وجهة للتجار

12 عرف أهل الغرب الإسلامي الصين في وقت مبكر دون أن نستطيع تأكيد تاريخ لذلك فمن المؤكّد أن تجارتهم كانت تنطلق من مواني شرق المتوسط إلى بغداد ثم من ميناء البصرة إلى الهند حتى تخوم العالم الصيني. من ذلك، ما أورده ابن العماد الحنبلي في «شذرات» عن أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري المحدّث إلى الشرق، و«سافر في التجارة إلى الصين، وكان عالمًا مثقفًا وقد تفقه ببغداد على يد الغزالي ومات فيها سنة 541هـ/1147م»[37]؛ ومما لا شك فيه أنه تواجدت نخبة أندلسية على تخوم هذا البلد وعلى الطرقات المؤدية إليه؛ فمن البديهي أن هؤلاء كانوا من أصحاب الثروة والعلم وكانوا

قادرين على جلب بضائع مهمّة من الصين، بل الأرجح أن يكونوا مكلّفين من قبل السلاطين أو الأمراء لجلب أثمنها خاصة الألبسة من الحرير والجواهر، مقابل حظوة لا تقل أهمية.

13 وقد نقلت بعض كتب التراجم أخبارًا عن هؤلاء[38] لكن المعطيات التي تأتينا من خلال المصادر متفرقة في الزمن ومقتضبة جدًا إذ تكتفي بذكر الصين كنقطة قصوى في الاتّجار من المتوسط إلى الهند، لكن الأمر يختلف عن العصور السابقة فمع مطلع القرن 6هـ/12م لم نعد نلحظ ذكرًا للمحطات البرية التي تسبق الوصول إلى الصين (هذا إن حصل) فتكتفي النصوص بذكر الصين مثلًا بعد الهند، وهذا يعني أنّ المرور لم يكن إلا بحرًا للوصول إلى هناك. فهل يعني أنّ المغاربة لم يصلوا أبدًا عن طريق الطرق البرية والتقليدية، والمعلومات التي تصل عن الصين هي معلومات مقتضبة بعد مدّة لا تتجاوز اسم المكان، فهي معلومات تأتينا بعد ورود التجار-العلماء من هناك. إذن غالبًا لم يكن هناك تخطيط لمثل هذه الرحلة بل هي رحلة غير معروفة مسبقًا فهؤلاء المغاربة من المؤكّد أنهم لا يملكون سفنًا تحت تصرّفهم، بل هم يستقلون سفنًا لآخرين كمصريين أو حجازيين في البحر الأحمر أو بمنطقة المحيط الهندي عن طريق يمنيين أو هنود، فهناك تجارة دولية قائمة بذاتها بين الإسكندرية حتى عواصم الصين.

14 إنّ غموض الصين في المتخيل المغاربي هو ما يدفع إلى التباس هذا المجال بالعجائب والغرائب. فمن المؤكّد أنّ تخوم هذا العالم لم تلج الإسلام بعد إلا بعد اعتناق العائلة التيمورية للإسلام من مطلع القرن 16م إلى أواخر القرن 19م. وعليه فإنّ هذا الجانب العجيب يبدأ في الظهور عند الحديث عن عوالم لا تدين بالإسلام أو عوالم مجهولة لم يتم الوصول إليها بعد. فالتاجر الأندلسي الشهير أبو حامد الغرناطي الواصل إلى القاهرة سنة 512هـ/1118م قبل ولوجه أوروبا الشرقية حتى هنغاريا عن طريق آسيا الصغرى، أخذ معلوماته من الشيخ أبي العبّاس الحجازي[39] الذي يروي أنّه قضى أربعين عامًا بين الهند والصين. لكننا لا يمكننا أن نعزلها عن المدّ الامبراطوري الفاطمي وخاصة إستراتيجية نشر الدعاة هناك. وهذا لا ينفصل أبدًا عن دور التجار في الدعوة. لكن ما يهمنا هنا مثلًا هل منعت هذه المعطيات الغرناطي من التفكير في ولوج الصين وهو العارف بالتجارة النهرية وأقاصي العالم الإسلامي بل والمكتسب لعلاقات مع الوزير السلجوقي يحيى بن هبيرة؟ وقد يزداد هذا الغموض عندما يعدل كثير من المغاربة والأندلسيين عن العودة إلى بلاد المغرب نتيجة الأوضاع التي اضطربت منذ مدة دون أن نعمم ذلك فأحدهم يدعى عبد الرحيم الصيني لكثرة أسفاره هناك[40]. بينما كان التاجر الأندلسي أبو الحسن سعيد الخير بن محمد الأنصاري الأندلسي دخل الصين وانتهى إلى أصفهان ثم توفي في بغداد سنة 541هـ/1146م[41] في تلك الربوع ليعود أحد المشارقة الفرس منذ أواسط القرن 7هـ/13م على عهد المستنصر بالله الحفصي وهو أبو العباس الجدالي وكان قد رحل إلى تخوم الصين فيحل بمدن تونس وبجاية وسبتة ليروي كثيرًا من «الغرائب» عن العالم الصيني-الهندي[42].

15 ويمكن أنّ الأمر سيتعمّق بازدهار تجارة الكارم والتحولات الطارئة على تجارة المتوسط حيث استفاد المغاربة من هذه التحولات إذ نجد كتب التراجم تذكر بعض هذه المعطيات النادرة: الجبلي التاجر «وصل الصين ثلاث مرات يملك خمسمائة دينار إلى خمسين ألف دينار» (ت 702هـ/1302م)[43]وما أعجب هذا الرقم! إنّه رقم ضخم لا يقدر عليه إلا كبار التجار ممّن اكتسبوا خبرة عظيمة في التجارة من البحر الأحمر إلى المحيط الهادي. ومن المؤكّد أن يكون هؤلاء قد وجدوا التسهيلات والحظوة لدى كل مملكة يحلون بموانيها. و لعل ابن بطوطة المتوفي نحو 766هـ/1369-1370م مثّل جانبًا في هذا الإطار. فحين نريد الاستفادة من رحلة ابن بطوطة يواجهنا إشكال عويص من جهة افتقار المادّة التاريخيّة لتنوّع المصادر فابن بطوطة الراوي هو مصدرنا الوحيد، ولا توجد مصادر أخرى لذات الوقائع يمكن أن نقارنها بها ونكافح الرواية بالرواية المختلفة عنها حتى نتوصّل إلى تأكيد صحة ما ذهب إليه أو نثبت تهافته. وأكثر ما يثير الاحتراز من صدق الرواية الواحدة ما شهده القرن 8هـ/14م من ازدهار الكتابة في موضوع الرحلات إلى المشرق، أو بين المشرق والمغرب، بدافع التقرّب إلى بلاطات الحكّام فكان دافع الكتابة التكسّب لا التوثيق. ولا يخلو ذلك من انتشاء السردي والحكوي والعجائبي في هذه الأدبيات. ومما لا شك فيه أنّ ابن بطوطة استفاد من ازدهار حركة الملاحة بين اليمن والهند للوصول إلى هناك، دون أن يبدي لنا أنّه كان تاجرًا فلا نفهم مثلًا لماذا قرب ابن بطوطة في البلاط الهندي دون غيره وهل كانت له معرفة باللغة الهندية، ثم لا شيء يدل على عودته ببعض الموادّ الثمينة إلى البلاط المريني، لكننا يمكن أن نتساءل عن عودته مرةً ثانية إلى الهند لتولي القضاء بعد 726هـ/1327م تقريبًا[44]. لكنه لم يكن الأول وطبعًا لن يكون الأخير: من ذلك ما شهد به عن دور لعبه تاجر مغربي هو أبو البركات البربري في نشر الاسلام السني المالكي بجزر المالديف (جزر المهل) على مقربة من شبه جزيرة الهند[45]. إن كل هذه التساؤلات تفضي إلى فهم أنّ عالم الصين لم يكن بعيدًا عن تلك المبادلات التجارية من عدن إلى بيكين مرورًا بسيلان إذ أن صاحب الرحلة ذاته يحدث عن مقابلته تاجرًا سبتيًا (من سبتة) وهو البستري السبتي كما ذكر لنا تاجرًا أندلسيًا كان يجيد اللغة الصينية وهو خالد أبو القاسم المرسي[46] وهو ما يؤكّد الاستفادة الكبيرة لهؤلاء من نمو تجارة الهند، من ذلك أن ابن خلدون ذكر أن مصادره حول تاريخ المغول وتقدمهم في فارس والشرق الأدنى هم التجار الصينيون[47]، ومن المؤكّد أن الصين كانت معنية بالحضور في المحيط الهندي بل والوصول حتى اليمن.

الخاتمة

16 قطع الهلاليون الطريق أمام يهود المغرب للتجارة بين الهند والمغرب الإسلامي فكان البحر الأحمر عبر الإسكندرية والفسطاط لتتشكل تجارة الهند الكبرى، ثم اكتسح المغول الشرق فكانت الحاجة ملحّة إلى طريق البحر الأحمر، من قبل المدن الإيطالية. وأخيرًا ملك العثمانيون طريق البحر الأسود فكان الصراع مريرًا على عالم المحيط الهندي. لم يكن السقوط التدريجي للأندلس عامل انتهاء للتجارة هناك بل استفاد هؤلاء ومعهم التجار الإفريقيون من حركة المدن الإيطالية عبر الموانئ الإفريقية ليتحولوا إلى وسطاء في عالم «التجارة الدولية» بين الهند وإيبيريا. إنّ هؤلاء انخرطوا بقوة في هذه التجارة الشرقية التي لم تقتصر على الشاميين والمصريين فقط[48]، لكن انخراطهم كان فرديًا فلم يستطيعوا تكوين شبكات تحوّلهم إلى منافس تجاري حقيقي وجدّي بين المتوسط وعالم المحيطات.

17 وعلى الرغم من تأكّد مساهمتهم لمدة أربعة قرون في ذلك الخيط الرابط بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي عبر المحيط الهندي فإن المغرب قد خسر المتوسط لفائدة العثمانيين (مسلمي الشرق) والمحيطات لفائدة الإيبيريين (الغربيين). فهل يكون

غياب التخطيط الإستراتيجيّ لدى حكّام المغرب لاكتساب أساطيل تمكّنهم من الهيمنة هو العامل الوحيد في هذا التأخر (العامل التقني) أم أنّ علاقة العرب بعلوم الملاحة وبأسباب النهضة (العامل الثقافي) كان سببًا في ركود المغرب والمشرق على حدّ السواء؟ لا تفيدنا النصوص خصوصًا بعالم المغاربة في تلك الربوع على الرغم من الحديث عن تواتر المغاربة من الإسكندرية إلى الصين. فلا نستفيد من وجود وعي جالياتي وأحياء خاصة بالمغاربة ونظرة المغاربة بعضهم إلى بعض، ونظرتهم إلى غيرهم. فهل اقتصرت المساهمة المغاربية (الغرب الإسلامي) على مغامرات أفراد أو كبار التجار الذين كانوا يتطلعون إلى الثروة والسلطة أو اللجوء فرارًا أو استقرارًا... إنّها من الأسئلة التي نطرحها لنفهم المزيد عن حقيقة «وعي الغرب الإسلامي» و«الإسلام» بحركة التاريخ التي كانت تتحرك في اتجاه أمم غيره.

Bibliographie

المصادر العربية

ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله اللواتي الطنجي)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1487.

ابن حجر (أحمد علي)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1 ، دار الجيل، بيروت، د.ت.

ابن خرداذبة (أبو القاسم ابن عبيد الله)، المسالك والممالك، إعداد وتقديم خير الدين محمود قبلاوي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999.

ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1951.

ابن خليل (عبد الباسط الملطي الظاهري)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، صفحات نشرها عمر عبد السلام تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم 866هـ-868هـ/ 1461-1463م، التاريخ العربي، عدد 17، 2001، ص 111-147.

ابن خليل (عبد الباسط الملطي الظاهري)، المجمع المفنن، نص نشره عمر عبد السلام تدمري، «رحلة عبد الباسط بن خليل بن شاهين إلى تونس 866هـ-868هـ/1461-1463م وتراجم تونسية في مخطوطين له»، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، أشغال الملتقى الدولي السادس، تونس 28-30 / 04 / 2010، راجع النصوص وأعدّها للنشر الرّاضي دغفوس وخالد كشير، منشورات مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 2010، ص391-408.

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، م 2 ، دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح)، تاريخ المستبصر، د.م. د.ت.

بامخرمة (أبو محمد الطيب عبد الله)، تاريخ ثغر عدن، د.م. د.ت.

الحميري (أبو عبد الله محمد ابن عبد الله)، صفة جزيرة الأندلس (مستقاه من الروض المعطار في خبر الأقطار)، تحقيق احسان عباس، د.ت.

السخاوي (شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، م5، ج1، دار ملكية الحياة، بيروت، د.ت.

الغبريني (أبو العباس أحمد)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1910 .

الغرناطي (ابو حامد عبد الرحيم ابن سلمان القيسي)، تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، دار الجيل (بيروت) و دار الأفاق الجديدة (المغرب)، ط2، 1993.

المراكشي (أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الرابع، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1964.

المقريزي (تقي الدين أحمد ابن عبد الغني)، المقفى الكبير، ج5، دار الغرب الإسلامي، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، ط1، 1998.

المصادر الأجنبية

De Gama, *Voyage de Vasco de Gama : Relations des expéditions de 1497-1499 et 1502-1503,* traduit et annoté par Paul Teyssier & Paul Valentin, présenté par Jean Aubin, Chandeigne, Paris, s.d.

Goitein, S.D., *Letters of Medieval Jewish Traders*, Princeton University Press, Princeton, 1974.

المراجع العربية والمعربة

إبراهيم جدلة، «هجمات الاسبان والبرتغاليين على المغرب والجهاد البحري»، الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، المجلد الرابع، القسم الثاني، تونس،2008، ص549-571.

إبراهيم حركات، «دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط»، مجلة البحوث التاريخية، س3 عدد1، طرابلس، 1981، ص27-37.

أحمد بوشرب، «المخططات البرتغالية خلال القرنين 15 و16»، في النهضة والتراكم، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، مهداة للأستاذ محمد المنوني، المعرفة التاريخية، دار توبقال للنشر، الرباط، 1986.

أحمد عبد اللطيف حنفي، المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية، ج2، الدراسة الحضارية، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.

استيانكو الأزموري، مغامر مغربي في أرض الهنود الحمر. أبكر رحلة شرقية إلى أمريكا الشمالية 1539، حققها وقدمها مصطفى أعراب، د.م.د.ت.

أمين توفيق الطيبي، «جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس هجري-12م»، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس وطرابلس، 1993، ص127-162.

انريكي غوزالبيس كرافيطو، ملاحظات حول تاريخ اليهود في سبتة من القرن 9 إلى القرن 16، تعريب محمد الشريف، دار أبي رقراق للنشر، الرباط، ط1، 2007.

أوليفيبرا كونستايل، التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل العبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002.

روبير سرجنت، «التجارة والتجار في اليمن من القرن 13م إلى القرن 16م»، دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي الوسيط، ط1، 2004 ، ترجمة وتقديم نهى الصادق، د.ت، ص51-93.

ريتشارد مرتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، جامعة الملك سعود، الرياض، د.ت.

شلومو دوف غويتين، «خطاب ووثائق عن تجارة الهند في العصور الوسطى»، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص251- 278.

عز الدين عمر موسى، «طريق عبر الصحراء "الليبية" من المغرب الأقصى إلى مصر»، مجلة البحوث التاريخية، عدد1، طرابلس، 1983، ص107-118.

عطا علي محمد شحاته رية، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة، دمشق، د.ت.

فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق للرابع عشر والخامس عشر ميلادي، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

فوزي محفوظ، «رهادنة القيروان وافريقية»، مجلة إفريقية، عدد 16، المعهد الوطني للتراث بتونس، تونس، 1998، ص13-37.

لطفي بن ميلاد، افريقية والمشرق المتوسطي، تونس، 2011.

لطفي بن ميلاد، «في تمثل الرحالة المصري عبد الباسط ابن خليل "للغرباء" بمدينة تونس ستينيات القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي»، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية س50 عدد 141، 2013، ص17-44.

لطفي بن ميلاد، «لباس اليهود بالمغرب الإسلامي زمن الموحدين»، إبلا، مجلة معهد الآداب العربية الجميلة بتونس، س77 عدد 213، شتاء 2014، ص5-16.

محمد أحمد الكامل، «مظاهر وآثار نشاط حركة الهند في ميناء عدن خلال حكم الدولة الرسولية 628-858 هـ/ 1228-1454م» ، مجلة التاريخ العربي، عدد17، 2011 ، ص23-62.

محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، د.ت.

محمد توفيق مقبل، فضل العرب والعثمانيين في اكتشاف العالم الجديد أمريكا: تساؤلات حول كتاب دور الأسطول العماني في المنافسة، دار كنوز للمعرفة، البتراء عمان، 2015.

محمد عبد الحميد سعيد، الحياة الاقتصادية باليمن في العصر الرسولي، أطروحة مرقونة، تونس، 1998.

محمد عبد الحميد سعيد، «دور اليمن في التجارة الشرقية الكبرى 1422-1517»، تحية تقديرية إلى أندريه ريمون، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ج2، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004، ص159-188.

محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، سلسلة تاريخ المصريين، عدد 137، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

محمد كريم الشمري، «العلاقات التجارية بين عدن والهند خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م»، دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي الوسيط، عدن، ط1، 2004، ص9-34.

مراد الرماح، «تجارة المهدية مع الشرق في العهد الإسلامي المبكر»، افريقية، مجلة المعهد الوطني للتراث بتونس، عدد 13، 1995، ص5-15.

هانيكة زهدوف، معذرة كولومبوس: لست أول من اكتشف أمريكا، تعريب الدكتور حسين عمران، د.م.د.ت.

المراجع الأجنبية

Bramoullé, David, « Recruiting Crews in the Fatimid Navy (909-1171) », *MedEnc* 13, 2007, p. 4-31.

Bramoullé, David, « Activités navales et infrastructures maritimes : éléments du pouvoir fatimide en Méditerranée orientale (969-1171) » *in* Fabre, Ghislaine, Le Blévec, Daniel & Menjot, Denis (éd.), *Les ports et la navigation en Méditerranée au Moyen Âge, Actes du Colloque de Lattes, 12-14 novembre 2004*, Le Manuscrit, Paris, 2009, p. 253-269.

Bramoullé, David, « Le réseau portuaire du califat fatimide en Méditerranée (969-1171) : une difficile mise en œuvre » *in* Coulon, Damien, Picard, Christophe, Valérian, Dominique (éd.), *Espaces et réseaux en Méditerranée (VIe-XVIe siècle)*, Bouchène, Paris, 2010, p. 45-73.

Bramoullé, David, « Alexandrie, les Fatimides et la mer » *in* Décobert, Christian, Empereur, Jean-Yves & Picard, Christophe (éd.), AlexMed 4, Centre d'Études Alexandrines, Alexandrie, 2011, p. 83-107.

Bramoullé, David, «The Fatimids and the Red Sea 969-1171» *in* Agius A., Dionisius, Cooper, John P., Trakadas, Athena & Zazzaro, Chiara (éd.), *Navigated Spaces, Connected Places: Proceedings of the Red Sea Project V Held at the University of Exeter, 16-19 September 2010,* BAR Publishing, Oxford, 2012, p. 127-135.

Bramoullé, David, « Financer l'activité navale fatimide en Égypte (973-1171) : contraintes financières et enjeux politico-économiques », *Revue d'histoire maritime* 22-23, 2017, p. 43-61.

Chakravarti, Ranabir, «Indian Trade Through Jewish Geniza Letters (1000-1300)», *Studies in People's History* 2, 1, 2015, p. 27-47.

Coulon, Damien, *Barcelone et le grand commerce au Moyen Âge : un siècle de relation avec l'Égypte et la Syrie-Palestine (CA 1330-1430)*, La Casa de Velázquez, Madrid, 2004.

Doumerc, Bernard, « Les relations diplomatiques entre Venise et les émirs hafsides de Tunis (1506-1525) », *Les cahiers de Tunisie* 168, 1995, p. 151-163.

Forbes, Andrew D.W., « Southern Arabia and the Islamicisation of the Central Indian Ocean Archipelagoes», *Archipel* 21, 1981, p. 55-92.

Goitein, S.D., « La Tunisie du XIe siècle à la lumière des documents de Geniza», *Études d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi Provençal*, G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris, 1962, p. 559-579.

Goitein, S.D. & Friedman, Mordechai A., *India Traders of the Middles Ages: Documents from the Cairo Geniza*, Brill, Leyde, 2008.

Goldberg, Jessica L., *Trade and Institutions in the Medieval Mediterranean: The Geniza Merchants and Their Business World*, Cambridge University Press, Cambridge, 2012.

Imamuddin, Syed M., «Spain and his Relations with Iraq, Persia, Khurasan, India and China at the Tenth Century», *Islamic culture* 8, 1961, p. 177-182.

Jadla, Brahim, « Les Juifs en Ifriqiya à l'époque hafside », *Histoire communautaire : Histoire plurielle, la communauté juive de Tunisie. Actes du colloque de Tunis, 25-27 février 1998, faculté de la Manouba,* Centre de publication universitaire, Tunis, 1999, p. 145-151.

Jadla, Brahim, « Musulmans et Juifs en milieu oasien à l'époque médiévale, l'exemple de Touat » *in* Fellous, Sonia (éd.), *Juifs et Musulmans en Tunisie,* Société d'Histoire des Juifs de Tunisie, Somogy Éditions d'Art, Paris, 2003, p. 87-92.

Margariti, Roxani Eleni, *Aden and the Indian Ocean Trade: 150 Years in the Life of a Medieval Arab Port*, University of North Carolina Press, North Carolina, 2007.

Paviot, Jacques, « Marins et marchands portugais en Méditerranée à la fin du Moyen âge » *in* Coulon, Damien *et al.* (éd.), *Chemins d'outre-mer : Études d'histoire sur la Méditerranée médievale offertes à Michel Balard*, Publications de la Sorbonne, Paris, 2004, p. 671-679.

Picard, Christophe, « Récits merveilleux et réalité d'une navigation en océan atlantique chez les auteurs musulmans », *Miracles, prodiges et merveilles au Moyen Âge. Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public*, Publications de la Sorbonne, Orléans, 1994, p. 75-85.

Toukabri, Hmida, *Les Juifs dans la Tunisie médiévale (909-1057) d'après les documents de la Geniza du Caire*, Romillat, Paris, 2002.

Udovitch, Abraham L., «Fatimid Cairo: Crossroads of World Trade from Spain to India» *in* Barrucand, Marianne (éd.), *L'Égypte Fatimide, son art et son histoire,* Presses de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris, 1999, p. 689-691.

Vallet, Éric, « Les navires de Calicut se détournent d'Aden au profit de Djedda. L'avènement d'une nouvelle route des épices » *in* Boucheron, P. (éd.), *Histoire du monde au XVe siècle,* Fayard, 2009, p. 325-328.

Vallet, Éric, *L'Arabie marchande. État et commerce sous les sultans rasûlides du Yémen (626-858/1229-1454)*, Publications de la Sorbonne, Paris, 2011.

Vallet, Éric, « Le marché des épices d'Alexandrie et les mutations du grand commerce de la mer Rouge (XIVe-XVe siècle) » *in* Décobert, Christian, Empereur, Jean-Yves & Picard, Christophe (éd.), AlexMed 4, Centre d'Études Alexandrines, Alexandrie, 2011, p. 213-228.

Notes

1 انظر على سبيل المثال: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 29.

2 حول تجارتهم بين الغرب الإسلامي والشرق خلال القرنين 4هـ-10م/5هـ-11م، راجع: مراد الرّماح «تجارة المهدية مع الشرق»، ص5-15. أوليفييرا كونستايل، التجارة والتجار في الأندلس، ص15؛
Goitein, La Tunisie du XIe siècle. وحول التحولات مع الشرق راجع كتابنا: لطفي بن ميلاد، إفريقية و المشرق المتوسطي، ص200.

3 انظر : Goitein, « La Tunisie du XIe siècle » ; Goldberg, *Trade and Institutions*.

4 Margariti, *Aden and the Indian Ocean Trade,* p. 176.

5 أحمد عبد اللطيف حنفي، المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية، ص52؛
Bramoullé, « The Fatimids », p. 127.

6 حول هذه الوكالات راجع: أمين توفيق الطيبي، «جوانب من النشاط الاقتصادي»، ص127-162؛
Udovitch, Fatimid Cairo.

7 حول هذه الإجراءات راجع دراستنا: لطفي بن ميلاد، «لباس اليهود»، ص5-16.

8 حول الحضور اليهودي بالمغرب الإسلامي في نهايات العصر الوسيط راجع: فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي؛ عطا علي محمد شحاته رية، اليهود في بلاد المغرب الأقصى؛ انريكي غوزالبيس كرافيطو، ملاحظات حول تاريخ اليهود؛ Jadla, Les Juifs en Ifriqiya ; Jadla, Musulmans et Juifs.

9 Goitein, *Letters*, p. 27, 167.

10 Goitein, *Letters*, p. 232.

11 Goitein, *Letters*, p. 261.

12 أوليفييرا كونستابيل ، التجارة والتجار في الأندلس، ص 156.

13 Goitein, *Letters*, p. 265-268.

14 أوليفييرا كونستابل، التجارة والتجار في الأندلس، ص156.

15 حول حال تجارة الهند خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م، راجع: محمد كريم الشمري، «العلاقات التجارية بين عدن والهند».؛ روبير سرجنت، «التجارة والتجار في اليمن» ؛ شلومودوف غويتين، «خطاب ووثائق»، ص257؛ محمد أحمد الكامل، «مظاهر وآثار نشاط حركة الهند»، ص62-63؛ Chakravarti, «Indian Trade», p. 28.

16 ابن العماد، شذرات الذهب، ص325.

17 ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص267.

18 المقريزي، المقفى، ص611.

19 ابن حجر، الدرر الكامنة، ص228.

20 بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص27.

21 السخاوي، الضوء ، ص289.

22 ابن العماد، شذرات الذهب، ص121.

23 السخاوي، الضوء، ص184.

24 ابن حجر، الدرر الكامنة، ص 244-245.

25 Vallet, « Le marché des épices », p. 213 ; Vallet, « Les navires de Calicut », p. 325.

26 عن هذه التحولات راجع على سبيل المثال: محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر، ص399؛ محمد عبد الحميد سعيد، الحياة الاقتصادية باليمن؛ ريتشارد مرتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة، ص173.

27 ابن خليل، المجمع المفنن، ص407.

28 ابن خليل، المجمع المفنن، ص119؛ لطفي بن ميلاد، «في تمثل الرحالة المصري»، ص38.

29 السخاوي، الضوء، ص 154؛ Doumerc, Les relations diplomatiques.

30 Coulon, *Barcelone et le grand commerce*, p. 353, 381, 384, 575.

31 محمد أمين صالح، تجارة البحر الأحمر، ص134؛ Paviot, « Marins et marchands Portugais », p. 678.

32 إبراهيم حركات، «دور الصحراء الافريقية»، ص27؛ عز الدين عمر موسى، «طريق عبر الصحراء»، ص118.

33 الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص148؛ Picard, Récits merveilleux.

34 De Gama, *Voyage de Vasco de Gama,* p. 125 et 153.

35 حول أولية المسلمين في الكشوف الكبرى راجع: استيانكو الأزموري، مغامر مغربي؛ هانيكة زهدوف، معذرة كولومبوس؛ محمد توفيق مقبل، فضل العرب والعثمانيين.

36 إبراهيم جدلة، «هجمات الاسبان و البرتغاليين».

37 ابن العماد، شذرات، ج2، ص128.

38 من ذلك ما ذكره الحميدي، المقتبس، ص566-579-594؛ Imamuddin, Spain and his Relations with Iraq, p. 177.

39 الغرناطي، تحفة الألباب، ص129.

40 الغرناطي، تحفة الألباب، ص131.

41 المراكشي، الذيل، ص16-18.

42 الغبريني، عنوان الدراية، ص106.

43 ابن حجر، الدرر الكامنة، ص496.

44 ابن حجر، الدرر الكامنة، ص480.

45 ابن بطوطة، تحفة النظار، ص484-485. للمزيد انظر: Forbes, «Southern Arabia», p. 70 et 83.

46 ابن بطوطة، تحفة النظار، ص637.

47 ابن خلدون، العبر، ج5، ص1130.

48 محمد عبد الحميد سعيد، «دور اليمن في التجارة»، ص12.

Pour citer cet article

Référence papier
لطفي بن ميلاد, “المغاربة وتجارة الهند من البحر الأحمر إلى المحيط الهندي والصين”, *Annales islamologiques*, 51 | 2017, 223-238.

Référence électronique
لطفي بن ميلاد, “المغاربة وتجارة الهند من البحر الأحمر إلى المحيط الهندي والصين”, *Annales islamologiques* [En ligne], 51 | 2017,
mis en ligne le 02 décembre 2018,
consulté le 22 janvier 2019. URL : http://journals.openedition.org/anisl/3884 ;
DOI : 10.4000/anisl.3884

Auteur

لطفي بن ميلاد
أستاذ مساعد للتاريخ الوسيط، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة القيروان (جامعة تونس، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، مخبر العالم العربي الاسلامي الوسيط)

Droits d’auteur

Institut français d'archéologie orientale (IFAO)

Ce site utilise des cookies et collecte des informations personnelles vous concernant.
Pour plus de précisions, nous vous invitons à consulter notre politique de confidentialité (mise à jour le 25 juin 2018).
En poursuivant votre navigation, vous acceptez l'utilisation des cookies.Fermer